من القوافل الاتية من بلاد الشام لحافظ باشا قبل موته ، ليكون بيرق مملكته تعبيرا عن الدم الذي يفصل بين العرب واعدائهم الجدد · بينما ارسل بعضا من جنوده لاستطلاع تقدم ذلك القائد الانجليزي « السمج » مع جيشه ، عبر وادي عاره في اتجاه الاردن ، كما سمع ·

وما كادت البيارق الحمراء تخفق فوق سطوح المنازل في البارد ، وفوق الشجر ، حتى كان رجال الاستطلاع يعودون ، ليخبروا الملك ، ان طلائع الجيش الانجليزي قد عسكرت في « اللجون » ، اتية من حيفا وليس من وادي عاره ، وسرعان ما كانت طبول الدراويش تدق مترددة في الجبال بقوة ، امام الشيخ لافي الملك ، الذي امتطى صهوة فرسه وسار على رأس جيشه الذي كان يتكاثر كلما مر بقرية من القرى في طريقه ، بعد ان كان حسن المعتوه قد سبقه اليها ، يدعو الناس للانضمام للشيخ لافي الذي عين نفسه ملكا ، والذي يتقدم بجيشه لمحاربة المحتلين الانجليز ، « واللي عنده همة وشرف يحمل سلاحه ويلحقه » ·

كان جيش الملك قد قارب المئة جندي ، عندما عسكر في الجبال بين قريتي سالم وزلفة في مواجهة معسكر الجيش الانجليزي في اللجون ، الا ان معركته الاولى التي خاضها لم تكن مع الانجليز كما كان ينوي ، اذ انه ما كاد يضع الخطط ويعد جيشه للهجوم ، حتى تنطح له افندية دار السعد وعبد الهادي من جنين وام الفحم ، ومعهم دار العبوشي وجرار هذه المرة ، الذين راحوا يعدون العدة لاستقبال الانجليز ، بحجة انهم حرروا البلاد من الاتراك ، وما زاد الطين بلة ، انهم ارسلوا اليه وفدا منهم يطلب اليه ان لا يعسكر بين زيتونهم اذا كان يصر على محاربة الانجليز ، كي لا يتسبب في حرقه اذا ما هاجمه الانجليز ، ناهيك عن انهم راحوا يطردون عائلات الفلاحين الذين التحقوا بجيشه من ارضهم ، كي لا يتسببوا في خراب بيوتهم ، كما كانوا يدعون ·

ورغم انه تحلى بالصبر هذه المرة كما يليق بالملك ، وراح يقنعهم بما كان امام المسجد في جنين قد شرحه له ، عن نوايا الانجليز واليهود ، طالبا اليهم ان يتكاتفوا معه ، كي لا تضيع ارضهم هم الاخرون ، وتمتلىء بالمعسكرات الانجليزية و « الكبانيات » اليهودية ، وعفا الله عما مضى بينه وبينهم ، الا انهم لم يقتنعوا ، واخبروه ان الانجليز سينسحبون من تلقاء انفسهم عندما يستريحون من حربهم مع الاتراك والالمان · والى ان ينسحبوا « اللي بوخذ امي هو عمي » ، واذا كان الاتراك والالمان لم يقدروا عليهم ، فكيف سيقدر عليهم هو بثلة من قطاع الطرق ، الذين لا يحسنون سوى قطع الطريق على قوافل التجار وغزو القرى في الليل ·

وكانت هذه الجملة الاخيرة ، هي التي افقدته صبره ، وسيطرته على نفسه ،